موقفه ونشاطه من الهجوم الإعلامي الأمريكي

شنت أجهزة الإعلام الأمريكية حملة واسعة ضد ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958 في العراق، فألصقت بها الأخبار التي كانت تعرضها قنوات التلفزيون وتبثها محطات الإذاعة وتنشرها الصحف والمجلات صفات الوحشية والعنف والدموية واصفة القومية العربية بأنها حركة مبنية على العاطفة غايتها الرئيسية معاداة العالم الغربي وان ما تشهده منطقة الشرق الأوسط من تطورات ما هو إلا صدى انعكاسات ورد فعل للتغلغل الشيوعي[1]، ونسبت تلك الثورة إلى قوى دولية خارجية فاعتبرتها ثورة شيوعية دبرت من قبل موسكو والقاهرة[2]، وكان مصدر هذه الأخبار بعض المراسلين الموجهين على الأغلب من قبل وكالة المخابرات الأمريكية فبالغوا بالخسائر البشرية التي وقعت، ورثوا الملك وعبد الإله ونوري السعيد بلغة مسرحية عاطفية وانتاب الساسة والمعنيون بالشرق العربي وأصحاب المصالح النفطية الرعب والخوف وارتجفوا هلعا لاحتمال استيلاء الحكومة الجديدة على الامتيازات النفطية فنظروا إلى ثورة الرابع عشر من تموز من زاوية مصالحهم الضيقة متناسين حق الشعب العراقي في التحرر من قيوده وتأكيد وتعزيز استقلاله ورغبته في التقدم[3].

حاول إسماعيل العارف أن يبذل قصارى جهوده لإزالة تلك الصور المشوهة التي ألصقت بثورة الرابع عشر من تموز بإعلام مضاد مباشر وغير مباشر مستفيدا من علاقاته الواسعة ببعض المتنفذين في أجهزة الإعلام، والمتعاطفين مع العرب والعراق فاستثار همم المعروفين في الأوساط الثقافية، والاجتماعية، والإعلامية، طالبا منهم إلقاء الكلمات من محطات الإذاعة والتلفزيون، والكتابة بالصحف، والتحدث في المجتمعات وراح إسماعيل العارف ينتهز كل فرصة متاحة لإلقاء الكلمات في الكنائس ومؤتمرات المعلمين أو الاجتماعات التي كان يتصيد إخبارها

---

(1) علاء موسى كاظم نورس، ثورة 14 تموز في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين والصحافة الغربية، بغداد، 1990، ص123–124.

(2) Majid Khadduri, Op.cit., P. 30

ومن خلال الإدلاء بالأحاديث إلى وكالات الأنباء الأجنبية التي تطرق فيها إلى الثورة العراقية وضروراتها ومساوىء النظام الملكي السابق[1].

كما حشد إسماعيل العارف جهود الطلاب العرب والعراقيين ليتصلوا بأجهزة الإعلام ويكتبوا الرسائل إلى الصحف تأييدا للثورة في العراق، ووجه بعض الشخصيات النشطة من الجاليات العربية للقيام بحملة إرسال برقيات إلى رجال الكونغرس الأمريكي في دوائرهم الانتخابية يطلبون منهم الضغط على الحكومة الأمريكية للاعتراف بالحكومة الجديدة في العراق والتوقف عن تشويه صورتها لديهم كما أفاد إسماعيل العارف من احد أصدقائه "تيد آرس" Teed Arss الذي كان يحتل مكانة مرموقة في محطة الإذاعة والتلفزيون الوطنية(N.B.C.) التي كانت تعد أول شركه إذاعية تغطي جميع الولايات المتحدة آنذاك.كان تيد آرس مديرا يخرج اشهر برنامج على شاشة تلفزيون أل (N.B.C.) كل يوم أحد من الأسبوع يدعى(قابل الشعب – Face the Nation) ويختار لهذا البرنامج شخصيه سياسية أو اجتماعيه أو صناعية مثيره للجدل إما لذاتها أو لعلاقاتها بأحداث دولية أو داخلية مهمة تغطي الساحة الإعلامية فاتصل به إسماعيل العارف وطلب منه أن يكون ضيف برنامجه الممثل الجديد لثورة الرابع عشر من تموز لدى الأمم المتحدة الأستاذ هاشم جواد فرحب بالفكرة في وقت كانت خلاله أنباء الثورة ساخنة واقتنع بان إخراجه على شاشة التلفزيون سيثير فضول المشاهدين بما سيقوله شاهد عيان عن ثوره أشغلت الساسة الغربيين المعنيين بالشرق العربي وقد ملأت أخبارها الصحف وأجهزة الإعلام[2].

وفي اليوم المحدد ظهر ممثل العراق في الأمم المتحدة على تلفزيون شركة(N.B.C.) بعد أسبوع من وصوله إلى الولايات المتحدة الأمريكية .وقد كان لحديثه وقع عظيم على المشاهدين في جميع أرجاء أمريكا إذ أبدى هاشم جواد مهارة فائقة في عرض وجهة نظر الثورة بثقافته الواسعة وتمكنه الممتاز من اللغة الإنكليزية

---

(1) سنان صادق حسين الزيدي، المصدر السابق، ص46.

(2) إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز، ص160.

وكان حاضر البديهة، لطيف الشخصية، ومتحدثا لبقا استطاع أن يزيل الكثير من الظلال القاتمة التي وصمت بها الثورة أمام الرأي العام الأمريكي ونجح البرنامج نجاحا رائعا[1].

كان مراسلو الصحف الأمريكية ينشرون أنباء مشوهة مثيرة عن الثورة يستقون المعلومات الواردة فيها من مصادر عراقية معادية للثورة، ومن أجهزة المخابرات والسفارة الأمريكية في بغداد.وأعطوا الفضل في كتاباتهم إلى الاتحاد السوفيتي ومصر في تفجيرها متناسين دور الشعب العراقي الحاسم وعزمه الأكيد على التحرر من النظام السابق والقيود الأجنبية، فتصدى لهم إسماعيل العارف بكتابة الردود على مقالاتهم في نفس صحفهم فكانت تنشر اغلبها بعد يوم أو يومين وعندما تنشر الردود كان يتصل به كتاب المقالات يطلبون مواجهته وبسبب ذلك استطاع أن يقيم مع البعض منهم علاقات وطيده وتمكن من التأثير عليهم في تلطيف الأخبار والبحوث التي ينشرونها عن العراق حتى أن البعض منهم أخذ يتصل به قبل نشر ما يكتبه ليسأله عن رأيه في المعلومات التي ينوي نشرها .وكان إسماعيل العارف يتلقف الأخطاء التي يرتكبونها في مقالاتهم ويستغلها لكي يمسك بتلابيبهم ويرد هجومهم ضدهم بشكل يستسيغه القارىء الغربي[2].

وذات يوم قرأ إسماعيل العارف مقالا عن العراق كتبه الصحفي المشهور المختص بالعراق في صحيفة (النيويورك تايمز) السيد (دانا آدم شمت) Dana Adem Shmit وقد ارتكب فيه خطأ إذ نشر مع المقال صوره تعود إلى رئيس أركان الجيش الأسبق الفريق رفيق عارف ووضع تحتها اسم عبد السلام عارف فاغتنم إسماعيل العارف تلك الفرصة السانحة وأرسل إلى الصحيفة ردا مليئا بالنقد والتهكم من الكاتب والصحيفة ومما قاله في الرد أن ذلك الخطأ الفاضح في نسب الصورة إلى غير صاحبها يثير كثيرا من الشكوك والتساؤلات حول صحة وصدق المعلومات التي نشرتها صحيفة محترمه كصحيفة النيويورك تايمز وقبل أن ينشر

---

(1) إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز، ص160.

(2) المصدر نفسه، ص 160-161

الرد اتصل به الكاتب دانا آ دم شمت وطلب مقابلته وعندما حضر اعتذر آسفا للخطأ ورجا إسماعيل العارف أن يصرف النظر عن نشر الرد فوافق وقال له مداعبا "إن موافقتي مشروطة بأن اطلع على كل ما ستنشره عن العراق في المستقبل قبل نشره" فوافق على طلبه وبدأ فعلا يتصل به هاتفيا ويقرأ عليه ما ينوي نشره ويعدل فيه وفق ما يقترحه عليه[1].

ذات يوم في أوائل شهر آب سنة1958 التقى إسماعيل العارف مصادفة في وليمة عشاء خاصة بالقس الدكتور هايدن رئيس قسم الفلك في جامعة جورج تاون بواشنطن، وعندما قدمه صاحب الدعوة إليه أخذا يتجاذبان أطراف الحديث فذكر له عرضا انه مسؤول عن إعداد برنامج أسبوعي في القناة الخامسة للتلفزيون بواشنطن مدته أربعون دقيقه كل يوم أحد من الأسبوع يسمى(ندوة جورج تاون) فاستفسر إسماعيل العارف منه عما إذا كان البرنامج يغطي بنشاطاته الأحداث الدولية المعاصرة كمناقشة ثورة 14تموز في العراق فرحب بالفكرة وتحمس لها وسأله ما إذا كان مستعدا ليكون ضيف البرنامج القادم فوافق إسماعيل العارف على الفور وبعد إجراءات لتأكيد الموعد في اليوم الثاني تهيأ إسماعيل العارف لهذا البرنامج تماما وقرر أن ينجح في عرض وجهة نظر الثورة بشكل مقنع تتقبله عقلية المشاهد الأمريكي، فأخذ يدرس تاريخ الولايات المتحدة وانكب على دراسة التاريخ السياسي لدول الشرق الأوسط واستخلص أمثله حقيقية من الثورات القديمة والمعاصرة ومعززة بالأرقام والحوادث والتواريخ المضبوطة وتعمد أن يستشهد بالثورة الأمريكية، والحرب الأهلية، وغيرها مما يثير فضول المشاهدين وتعاطفهم وقد ركز على إيضاح ثلاثة أمور كانت تشغل الساسة والرأي العام الأمريكي أولها أن ثورة العراق داخلية صرفة قام بها الجيش نيابة عن الشعب المضطهد للتخلص من حكم مستغل ولم تتم الثورة ضد دولة معينة أو مجموعة من الدول، وثانيهما، أن النظام الثوري الجديد سوف يقيم علاقات متكافئة مع جميع الدول بحرية ولن يميز بين دولة وأخرى، فقد أزالت

---

[1] إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز، ص161.

الثورة كل ما كان يعوق قيام وتحسن العلاقات الدولية بين الشعب العراقي والشعوب الصديقة، ولذا فان تلك العلاقات ستكون أكثر متانة مما كانت عليه في الماضي، والأمر الثالث هو أن العراق الجديد سوف لن يوقف ضخ النفط أو يستولي على الامتيازات النفطية بل سيضمن حقه الكامل من النفط بالطرق المشروعة وقد نجح إسماعيل العارف في إيصال ذلك إلى المشاهد [1].

عودته إلى العراق بعد ثورة 14 تموز 1958

خلال الأشهر التي تلت ثورة 14 تموز 1958 اخذ إسماعيل العارف يبعث بالرسائل إلى عبد الكريم قاسم التي انصبت على مناقشة الوضع السياسي، وأكد فيها إسماعيل العارف على ضرورة تشكيل مجلس لقيادة الثورة لإدارة شؤون البلاد حتى تنتهي فترة الانتقال القصيرة الأمد وحتى يسلم الحكم إلى ممثلي الشعب المنتخبين وكان إسماعيل العارف يكرر في رسائله بهذا الخصوص حتى وردته في أواسط شهر أيلول رسالة من عبد الكريم الجدة اخبره فيها أن عبد الكريم قاسم قد كلفه بالكتابة إليه وانه استلم معظم الرسائل التي أرسلها إسماعيل العارف وان على الأخير أن يصبر وينتظر ريثما تنجلي الأمور وسيبعث له عبد الكريم قاسم بنبأ عودته إلى العراق وفعلا بعد فترة قصيرة وصله نبأ العودة إلى بغداد لقيادة اللواء الخامس والعشرين فتهيأ للسفر وأجرى مراسيم التوديع وسافر في أواخر شهر شباط سنة 1959، بالباخرة إلى المملكة المتحدة في طريقه إلى بغداد وعند وصوله إلى لندن علم من الملحق العسكري هناك بان انتفاضة قد اندلعت في منطقة الموصل في العراق ضد قيادة عبد الكريم قاسم وتم القضاء عليها وقتل قائدها عبد الوهاب الشواف، وقرر إسماعيل العارف متابعة السفر على الفور حيث وصل إلى بغداد في الأسبوع الثالث من شهر مارس[2].

---

(1) إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز، ص161-162.

(2) إسماعيل العارف، أسرار ثورة 14 تموز، ص168.

وحالما وصل إسماعيل العارف إلى بغداد اتصل به بعض أصدقائه وشرحوا له الظروف الحرجة المتوترة التي يمر بها العراق والأزمة الخانقة المهيمنة عليه على اثر حركة الشواف، وبعد أن استراح في بيته من عناء السفر ارتدى ملابسه العسكرية واتجه إلى وزارة الدفاع لمقابلة عبد الكريم قاسم فوجده محاطا بمجموعة من الضباط فرحب الجميع به بعد فراق دام أكثر من سنتين وبعد أن تم تبادل المجاملات التفت عبد الكريم قاسم إلى الضباط الموجودين قائلا لهم: " خذوا العقيد إسماعيل وأطلعوه على مؤسساتنا الرسمية وما يجري عندنا الآن لتكون لديه فكرة عملية عما نقوم به في الوقت الحاضر" فاصطحبه العقيدان فاضل عباس المهداوي وأمين الحصان وبعد جولة في وزارة الدفاع عاد إسماعيل العارف ليلتقي بعبد الكريم قاسم واخذ الأخير يقص عليه كيف بدأت مشاكسات وتصرفات عبد السلام عارف تطفو على السطح من أول يوم الثورة، وكيف أن خطب عبد السلام وتصرفاته قد شقت وحدة الشعب ودقت اسفينا في بنيان الثورة، وكيف كان يحاول استقطاب التيار القومي ضد عبد الكريم قاسم مما اضطر الأخير إلى تجميده وتجريده من سلطاته، وفي صباح اليوم التالي اتجه إسماعيل العارف إلى مقر اللواء الخامس والعشرين لاستلام قيادته وكان مقره في مجلس السيادة(البلاط الملكي سابقا) مقابل ملعب الكشافة[1].

إسماعيل العارف وحلقات الوساطة بين عبد الكريم قاسم والآخرين

قام إسماعيل العارف بوساطات عديدة بين عبد الكريم قاسم وأطراف مختلفة ومن أهم هذه الوساطات:

1- توسطه لدى عبد الكريم قاسم بخصوص الطبقجلي وجماعته

كان إسماعيل العارف أول من توجه إلى عبد الكريم قاسم في مقره بوزارة الدفاع بمحاولة لإقناعه بعدم المصادقة على قرار حكم إعدام الطبقجلي وجماعته المتهمين بالاشتراك في حركة الشواف عام 1959، واتصالهم بسلطات الجمهورية العربية

---

[1] المصدر نفسه، ص179-181.

المتحدة، وأثناء اللقاء حاول إسماعيل العارف أن يحصل منه على وعد بعدم تنفيذ الحكم وأعرب عن أمله في أن لا يقتل رجال الثورة بعضهم بعض في الوقت الذي يمكن تسوية الخلاف بالحوار الايجابي البناء لكن عبد الكريم قاسم لم يعط عهدا قاطعا بعدم التنفيذ وإنما تعهد إليه بالتريث بالأمر [1].

ويروي إسماعيل العارف بهذا الخصوص قائلا:"كلما اقترب موعد تنفيذ أحكام الإعدام للضباط المدانين بحركة الشواف نشط عدد من المقربين إلى عبد الكريم قاسم في الطلب على إرجاء تنفيذ الأحكام أو تبديلها ويبدو انه مال إلى عدم التعجيل في تنفيذ تلك الأحكام والى تأجيلها"[2].

2- توسطه لدى عبد الكريم قاسم لإيقاف المد المعادي للحزب الشيوعي

ساد الحزب الشيوعي جراء المضايقات والضغوط التي تعرض لها أعضاؤه جو من الارتباك الفكري والتنظيمي، وأخذت المناقشات تجري في اكبر منظمات الحزب حول الموقف من عبد الكريم قاسم وموقف عبد الكريم قاسم من الحزب الشيوعي وحمل بعضهم الحزب مسؤولية تأزم العلاقة معه وتوصل الحزب إلى قناعة بان الاصطدام مع قاسم سيجلب الكوارث الجسيمة، وانطلاقا من هذا التصور وبسبب المعاناة التي اخذ يتعرض لها الحزب أوفد المكتب السياسي للحزب الشيوعي عضوه جمال الحيدري إلى إسماعيل العارف ليطلب منه أن يتوسط بين الحزب ورئيس الوزراء عبد الكريم قاسم لكي يوقف المد المعادي للحزب الشيوعي وإزالة سوء التفاهم وإظهار النيات المخلصة للحزب وقد نقل إسماعيل العارف ما دار بينه وبين الحيدري إلى عبد الكريم قاسم الذي أجابه قائلا:" لقد اخطأوا عندما تصوروا أن الثورة

---

[1] احمد كاظم محسن ألبياتي، المصدر السابق، ص133-134.

[2] نوري عبد الحميد العاني وآخرون، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري 13 تموز-كانون الاول 1959، ج3، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2001، ص159.

جاءت لمصلحة فئة سياسية معينة ولن نسمح لأي فئة أن تنفرد في فرض إرادتها بطرق غير مشروعة على الناس وسنعامل كل من يخرج عن الطريق بموجب القانون"[1].

3- توسطه لدى عبد الكريم قاسم بخصوص المجموعة التي قامت بمحاولة اغتياله في محلة "رأس القرية"

بعد نجاة عبد الكريم قاسم من محاولة اغتياله"عملية رأس القرية" التي أصيب فيها في شارع الرشيد في السابع من تشرين الأول عام 1959 وقتل فيها من منفذي العملية عبد الوهاب الغريري وجرح آخرون وقد أصدرت المحكمة العسكرية العليا الخاصة بتاريخ السادس والعشرين من آذار عام 1960 أحكاما متضمنة الحكم على سبعة عشر منهم بالإعدام وعلى الآخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة وبرأت ستة منهم ثم أصدر رئيس الوزراء بيانا في الحادي والثلاثين من آذار 1960 ألغى فيه الأحكام الصادرة من المحكمة أعلاه ويقول الزعيم الركن إسماعيل العارف انه" عندما اقترب موعد تنفيذ حكم الإعدام في الحادي والثلاثين من آذار 1960 رجوته أن يؤجل التنفيذ ويخفف أحكام الإعدام .. وفي يوم 30 أعلن تأجيل تنفيذ الحكم فهنأته على قراره"[2].

---

[1] نوري عبد الحميد العاني وآخرون، المصدر السابق، ج3، ص85.

[2] هادي حسن عليوي، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم(الحقيقة)، بغداد، 1990، ص64.